الإســـلام دين ســـــلام

إعداد. د. إبراهيم حسن إبراهيم
أستاذ مشارك بكلية الدعوة
جامعة أم درمان الإسلامية.

مستخلص البحث

البحث عبارة عن دراسة لموضوع بعنوان: هل الإسلام انتشر عن طريق الحرب والقوة والجهاد أم أن الإسلام دين سلام ومحبة وتكافل ووئام؟. هدفت الدراسة لتفنيد هذه الشائعات وتصحيح هذا الفهم الخاطئ للإسلام أو المراد له أن يكون كذلك. أوضحت الدراسة أن الجهاد هو ذروة سنام الإسلام وساعد على تقويته والزود عنه وحمايتـــه، ولكن لنشر الإسلام وتعاليمه لا يجدي القتال ولا الحرب، من مبدأ (لا إكراه في الدين). البحث عبارة عن مقدمة وثلاثة مباحث، ذكرت في المقدمة أهم نظريتين ذكرهما أعداء الإسلام لتثبيت مفهوم انتشار الإسلام بالحرب، وتناولتهما باختصار، كما ذكرت في المبحث الأول أن الإسلام دين سلام ثم أوضحت في المبحث الثاني مفهوم الجهاد وأحكامه وفي المبحث الثالث تعرضت لمراحل تشريع الجهاد، وأخيراً عرضت بعض النتائج والتوصيات.

مقدمـــة

الحمد للّه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، رب السموات والأرض ومن فيهن الملك الجبار الواحد القهار سبحانه وتعالى الكبير المتعال، والصلاة والسلام على نبيه المختار أفضل من سار على وجه الأرض معلماً ومبلغاً رسالات ربه ونشهد أنه قد أدى الأمانة وبلغ الرسالة وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها عليه وعلى آله وصحابته الأبرار الأخيار أفضل الصلاة وأتم التسليم. وبعد ...

شغلت بال أعداء الإسلام قديماً وحديثاً مسألة انتشار الإسلام وما زالوا يولونها اهتمامهم وهمهم الأكبر، ويضعون الخطط والتدابير من أجل طمس معالمها ومحو آثارها في نفوس المسلمين بشتى الوسائل و الأساليب، وذلك لإدراكهم خطورتها على مستقبل حكوماتهم وسلطانهم، وهذه المسألة هي

مفهوم الجهاد في الإسلام وما يترتب عليه من حماية للدعوة الإسلامية وتقوية شوكة المسلمين.

لقد بذل أعداء الإسلام جهوداً كبيرة في نشر بعض المغالطات والتشويهات التى دُست عليه وتمثل ذلك في رأيين متناقضتين في الظاهر ولكنهما منسجمتان في باطن الأمر وحقيقته، إذ تتكون من كلتيهما وسيلة واحدة متسعة تستهدف إلغاء مشروعية الجهاد من أساسه.

الرأي الأول:

هي تلك التي تنادي بأن الإسلام لم ينتشر إلا بحد السيف وأن النبي ﷺ وأصحابه سلكوا مسلك الإكراه، فكان الفتح الإسلامي على أيديهم فتح قهر وبطش لا فتح قناعة وفكر.

الرأي الثاني:

تهدف إلى عكس ذلك تماماً، أي أن الإسلام دين سلام ومحبة لا يشرع الجهاد فيه إلا لرد العدو الداهم، ولا يحارب أهله إلا إذا أرغموا على ذلك وبودئوا به [1].

وعلى الرغم من أن هذين الرأيين متناقضتان، فإن أرباب الغزو الفكري أرادوا أن يستنتجوا منهما غـــــاية معينة، وهى وحدها المقصودة من هذين الرأيين ويأتي إيضاح ذلك في الآتي:

لقد أشاع وروج أعداء الإسلام أولاً أن الإسلام دين بطش وحقد على الآخرين، ثم انتظروا إلى أن أتت هذه الشائعة ثمارها من ردود الفعل لدي المسلمين وإنكارهم هذا الظلم في مقاصد الإسلام. وبينما المسلمون يلتمسون الرد على هذا الباطل قام من أولئك المشككين أنفسهم من يصطنع الدفاع عن الإسلام بعد طول علمٍ وبحثٍ متجردين، وراحوا يردون هذه التهمة قائلين: أن الإسلام ليس كما قال بعضهم دين سيف ورمح وبطش، بل هو على العكس من ذلك، فهو دين محبة وسلام لا يشرع فيه الجهاد إلا لضرورة العدوان المداهم، ولا يرغب أهله الحرب ما وجدوا إلى الإسلام من سبيل.

فصفق بضعفاء المسلمين طويلاً لهذا الدفاع في غمرة تأثرهم بالظلم الشنيع الأول، وصادف ذلك في نفوسهم المتحفزة للرد عليه قبولاً حسناً،

فأخذوا يؤيدون ويؤكدون ويستخرجون البرهان تلو الآخر على أن الإسلام فعلاً كما قالوا دين مسالمة ومودعة لا شأن له بالآخرين، إلا إذا داهموه في عقر داره وأيقظوه من هدأته وسباته. وفات على أولئك الضعفاء إن هذه النتيجة المطلوبة، هي عينها الغرض الذي التقى عليه في السر كل من روج الشائعة الأولى، ثم أشاع الباطل الثاني، فالمقصود مما سبق، السلوك بمقدمات ووسائل مدروسة مختلفة تنتهي إلى نسخ فكرة الجهاد من أذهان المسلمين وإماتة روح الطموح في نفوسهم [٢].

ونسوق شاهداً على هذا ما ذكره الأستاذ وهبة الزحيلي على لسان المستشرق الإنجليزي (جورج سيل)، يسعى أعداء الإسلام إلى عدم ظهور فكرة الجهاد في أوساط المسلمين حتى لا تتوحـــد كلمتهم فيقفوا أمام أعدائهم، ولذلك يحاولون الترويج لفكرة نسخ الجهاد [٣].

المبحث الأول
الإســـــلام والســـــلام

من واقع التاريخ أن الحرب قامت فعلاً في الإسلام وأن المسلمين حاربوا قريشاً، ثم القبائل العربية المنتشرة في أنحاء الجزيرة ثم اليهود ثم الروم والفرس.

فهل هذه الحروب تعني أن الإسلام دين حرب أم أنه دين سلام؟ إن الحكم المنصف يُقر أن الإسلام دين سلام وليس دين حرب، وأن المسلمين خاضوا هذه الحروب في الوقت الذى تعددت فيه الطوائف والأديان في الجزيرة العربية، أدت فيه المنازعات بين العرب، وتحكمت العصبية في أمور المجتمع، جاء الإسلام ليعلن الأخوة الإسلامية، ويبشر بالدعوى إلى التضامن والمحبة، ويبطل كل عصبية ويسلك بالعرب طريق الخير والعزة ويقرب بين النفوس المتنازعة، والقلوب المتطاحنة، والمشاعر المختلفة، ويجمع بين الناس جميعاً في وحدة لا تفرق، وفي حقوق وواجبات متساوية[٤]. ويؤكد ذلك قوله تعالى: (وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً) [آل عمران الآية ١٠٣].

لقد قام منهج الإسلام في دعوته على الحكمة والموعظة الحسنة والإيضاح الجميل، ثم أن كلمة الإسلام مشتقة من السلام، ورسالة الإسلام تقوم

أولاً على تحقيق السلام. والمؤمنون الذين آمنوا به لم يجدوا لأنفسهم إسماً أفضل من المسلمين ويؤكد ذلك قوله تعالى: (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ) [سورة الحج الآية ٧٨].

وأساس الدين الإسلام لرب العالمين لقوله تعالى: (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) [سورة البقرة الآية ١١٢]. وتحية المسلم لأخيه المسلم هى (السلام عليكم) وختام صلاة المسلمين سلامٌ على اليمين وسلامٌ على الشمال.

والقرآن نزل في ليلة كلها سلام وتحفها ملائكة السلام لقوله تعالى: (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) [سورة القدر الآيات ٤-٥]. والسلام خير تحية يلقي الله بها عباده (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ) [سورة الأحزاب الآية ٤٤] والملائكة يستقبلون العباد الصالحين في الجنة بالسلام لقوله تعالى: (سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) [سورة الرعد الآية ٢٤].

وسميت الجنة التى وعد الله بها المتقين دار السلام لقوله تعالى: (لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ) [سورة الأنعام الآية ١٢٧].

والسلام هو اسم من أسماء الله الحسنى لقوله تعالى: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ) [سورة الحشر الآية ٢٣].

والإسلام جاء مؤكداً لمعاني السلام، وعمل على استقراره وأرسى قواعده ودعا الناس للعمل بها.

قرر الإسلام مثلاً مبدأ الإخاء بين الناس ، ودعا إلى القضاء على روح التعصب، وأشار بفضل السلام، وطبع النفوس بروح التسامح، وأمر بالوفاء وحرم الغدر، وأمر باحترام العهود والمواثيق. وحصر فكرة الحرب في أضيق حدودها، وحرم العدوان، وأشاع العدل والرحمة، واحترام الحقوق[٥].

وأمر القرآن بالتدخل لفض أي نزاع مسلح أملاً في إقرار السلام لقوله تعالى: (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) [سورة الحجرات الآية ٩].

وأوصى الإسلام الناس بالحق والصبر والرحمة والتضامن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقوله تعالى: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [سورة آل عمران الآية ١٠٤].

ورأى الإسلام أن في إبطال البغي والظلم والفساد وفي الدعوة إلى مكارم الأخلاق والإصلاح بين الناس منهجاً يحقق السلام ويؤكده، ولهذا دعا لقمان ابنه في قوله تعالى: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ) [سورة لقمان الآية ١٧].

ولقد كان هدف الإسلام أن ترقى النفوس، وأن تمتلئ القلوب بالإيمان، وأن تعمّر بالإخلاص والمحبة، وهذا النوع من السلوك يقضي على الحرب فيعمّ السلام ويعيش الناس في أمان ووئام ومحبة وسلام.

إن الإسلام هذب صورة الحرب وارتقى بها إلى مستوى الإنسانية، ولابد أن تقرّ حقيقة مهمة وهي: أن الإسلام من أجل تحقيق السلام دعا إلى الاستجابة الفورية لأية دعوة إلى الإسلام. ويظهر ذلك في قوله تعالى: (وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [سورة الأنفال الآية ٦١].

المبحث الثاني
مفهوم الجهاد وأحكامه

تعريف الجهاد:

الجهاد محاربة الأعداء وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة، من قول أو فعل ومن المعاني التى وردت في تعريف الجهاد: بذل الجهد أي الطاقة المقدرة في سبيل اللّه بالنفس والمال والرأي [٦]. جاهد العدو مجاهدة وجهاداً وفي الحديث "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية" [٧].

والجهاد بالجيم، جاهدت العدو مجاهدةً وجهاداً، وأصلها جيهاد كقيتال، مخفف بحذف الياء، وهي مشتقة من الجهد بالضم وهو الطاقة، لأن كلاً منهما بذل طاقته في دفع صاحبه [٨].

أما تعريف الجهاد في الشرع: فهو قتال الكفار لإعلاء كلمة اللّه. كما جاء في حديث عمرو بن عبسه رضى اللّه عنه قال: قال رجل يا رسول اللّه ما الإسلام؟ فقال ﷺ: "أن يسلم قلبك للّه عزّ وجلّ وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك".

قال: فأي الإسلام أفضل: قال ﷺ : "الإيمان"، قال: وما الإيمان؟ قال ﷺ "أن تؤمن باللّه وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت"، قال: فأي الإيمان أفضل؟ قال ﷺ "الجهاد"، قال: وما الجهاد؟ قال ﷺ "أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم"، قال: فأي الجهاد أفضل؟ قال ﷺ "من عقر جواده وأهريق دمه" [٩].

والجهاد هو بذل الجهد في قتال الكفار. وقال: "قتال الكفار لنصرة الإسلام وإعلاء كلمة اللّه" [١٠] الجهاد في عرف الشرع يستعمل في بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل اللّه عز وجل بالنفس والمال واللسان أو غير ذلك أو المبالغة في ذلك [١١]

أفضل الجهاد إذا أطلق فالمراد به قتال الكفار لإعلاء كلمة اللّه تعالى ولا ينصرف إلى غير قتال الكفار إلا بطريقة تدل على المراد [١٢].

وجهاد السيف قتال المشركين على الدين، فكل من أتعب نفسه في ذات اللّه فقد جاهد في سبيله، إلا أن الجهاد في سبيل اللّه إذا أطلق فلا يقع بإطلاقه إلا على مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا الإسلام أو يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون [١٣].

حكم الجهاد:

يكون الجهاد فرض كفاية على جميع المسلمين الموجودين من أهل القتال، فإن قام بعضهم بالجهاد سقط الفرض عن الكل، وإذا لم يقم به أحد أثم الكل من المكلفين العاملين به. وفي هذا الفرض لا تخرج المرأة إلا بإذن زوجها، ولا الولد إلا بإذن والديه.

ويكون الجهاد فرض عين، إذا هاجم العدو بلداً من بلاد المسلمين فجأةً فيخرج أهل البلد جميعاً، لأن الجهاد في هذه الحالة يكون فرض عين كالصلاة والصوم، وتخرج المرأة دون إذن زوجها والولد دون إذن أبيه [١٤]. والجهاد نوعان:

١/ جهاد الطلب:

هو أن تطلب الكفار في عقر دارهم ودعوتهم إلى الإسلام وقتالهم إذا لم يقبلوا الخضوع لحكم الإسلام، وحكم هذا النوع فرض على مجموع المسلمين ويدل على ذلك قوله تعالى: (وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ

السّميعُ الْعَليمُ) [سورة التوبة الآية ٥]. وكذلك قوله تعالى: (وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) [سورة التوبة الآية ٣٦].

ومن السنة يدل على ذلك قول رسول اللّه ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على اللّه" (١٥).

وكذلك قوله ﷺ: "من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق"(١٦).

٢/ جهاد الدفع:

حكمه فرض عين على المسلمين عموماً، حتى يندفع شر الأعداء. وهذا باجماع علماء المسلمين.

يقول القرطبي: إذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار، أو بحلوله بالعقر، فإذا كان ذلك، وجب على جميع أهل تلك الديار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافاً وثقالاً شباباً وشيوخاً كلٌ على قدر طاقته (١٧).

ويكون الجهاد واجب على المسلم إذا كان قادراً عليه، فمن لا قدرة له، لا جهاد عليه، ومن عجز عن الجهاد بنفسه ولا مال له، فقد منحت له فرصة الجهاد بالقلب واللسان واليد. وهو واجب على الرجال دون النساء، لأن بنية المرأة لا تحتمل عنف الجهاد، فهى لا تخرج لقتال أو حمل سلاح وإنما إذا خرجت فلأعمال الطب والسقي والتموين ومداواة الجراح. وسمح للقادرين على القتال والذين لا يملكون سلاحاً أو راحلة أن يخرجوا لتكثير السواد إرهاباً للعدو. وأعفى اللّه من الجهاد الضعفاء والمرضي والشيوخ فلا يأخذ اللّه بالإثم والعقاب أحداً من هؤلاء (١٨).

ويدل على ذلك قوله تعالى: (لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [سورة التوبة الآية ٩١]، وقوله تعالى: (لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً) [سورة الفتح الآية ١٧].

المبحث الثالث
مراحل تشريع الجهاد

مرّ الجهاد الإسلامي بنوعيه: جهاد الطلب وجهاد الدفاع بعدة مراحل قبل أن يصل حكمه النهائي الذي تقدم ومن هذه المراحل ما يلي:

المرحلة الأولى:

وهى مرحلة الكف عن المشركين والإعراض عنهم والصبر على أذاهم مع الاستمرار في دعوتهم إلى الدين الحق، و بيان دين الإسلام بالأدلة وبيان تفاهة معبودات الجاهلية وضلال أهلها، وخسارتهم في الدنيا والآخرة. وفي هذه المرحلة نهى النبى ﷺ أصحابه عن قتال أهل مكة في هذه الفترة لمن قال له: "كنا في عزٍ ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة، قال له ﷺ : "إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا" [١٩].

وقال رسول اللّه ﷺ لما أستأذنه أهل يثرب ليلة العقبة أن يميلوا على أهل مني فيقتلوهم قال: "لم نؤمر بذلك، ولكن أرجعوا إلى رحالكم"[٢٠].

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَّامَ اللّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِما كَانُوا يَكْسِبُونَ) [سورة الجاثية الآية ١٤]. قال: أمروا أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب ليكون ذلك كتأليف لهم، ثم لما أصروا على العناد، شرع اللّه للمؤمنين الجلاد والجهاد [٢١].

المرحلة الثانية:

إباحة القتال من غير فرض، ومن أدلة هذه المرحلة قوله تعالى: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) [سورة الحج الآية ٣٩].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: هذه أدل آية نزلت في الجهاد واستدل بهذه الآية بعضهم على أن السورة مدنية، وقال مجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد: إنما شرع اللّه الجهاد في الوقت الأليق به[٢٢]. لأنهم كانوا بمكة وكان المشركون أكثر عدداً، فلو أُمر المسلمون وهم أقل من العشر، بقتال الباقين لشق عليهم، ولهذا بايع أهل يثرب ليلة العقبة رسول اللّه ﷺ وكانوا سبعاً وثمانين قالوا: يا رسول اللّه ألا نميل على أهل الوادى – يعنون مني – ننال منهم فنقتلهم. فقال ﷺ "إنما لم أومر". فلما بغي المشركون وأخرجوا النبي ﷺ من بين أظهرهم وهموا بقتله وشردوا أصحابه شذر مذر، فذهبت منهم طائفة إلى الحبشة وآخرون إلى

المدينة فلما استقروا بالمدينة ووافاهم رسول اللّه ﷺ وأجمعوا عليه وقاموا بنصره وصارت لهم دار إسلام ومعقل يلجئون إليه، شرع اللّه جهاد الأعداء فكانت هذه الآية أول ما نزل في ذلك [٢٣].

المرحلة الثالثة:

فرض القتال على المسلمين لمن يقاتلهم فقط. ومن أدلة هذه المرحلة قوله تعالى: (فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً ★ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَـئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا) [سورة النساء الآيات ٩٠-٩١]. يقول ابن تيمية عن هذه المرحلة: ولم يؤمروا بقتال من طلب مساعدتهم بل قال فإن تولوا فخذوهم ... الآية، وكذلك من هادنهم لم يكونوا مأمورين بقتاله، وإن كانت الهدنة عقداً جائزاً غير لازم [٢٤].

المرحلة الرابعة:

قتال الكفار على اختلاف أديانهم وأجناسهم ابتداءً وإن لم يبدأوا بقتال حتى يسلموا أو يدفعوا الجزية على خلاف بين العلماء، فيمن تؤخذ الجزية منهم. وهذه المرحلة بدأت بعد انقضاء أربعة أشهر من حج العام التاسع من الهجرة، ومن بعد انقضاء العهود المؤقتة، وقد توفي الرسول ﷺ والعمل على هذه المرحلة الأخيرة وعليها استقر حكم الجهاد [٢٥].

ومن أدلتها قوله تعالى: (فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [سورة التوبة الآية ٥]، وكذلك قوله تعالى: (قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) [سورة التوبة الآية ٢٩].

وقوله ﷺ: "أغزُوا ولا تُغلّوا ولا تغدِروا ولا تُمثلُوا ولا تقتلوا وليداً وإذا لقيت عدوك من المشركين فأدعهم إلى ثلاث خصال أو (خلال) فأيتهن ما أجابوك فأقبل منهم وكُفّ عنهم، ثم أدعهم إلى الإسلام" [٢٦].

وقوله ﷺ : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللّه فمن قال لا إله إلا اللّه عصم مني نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على اللّه"[٢٧].

الخاتمـــة:

وتشتمل على:

أولاً: أهم النتائج:

١- إن انتعاش الباطل وهيمنته، وتعذيبه للمؤمنين وفتنتهم على دينهم، يكون عند نقد الجاهد والقوة الرادعة لقوى الشر والطغيان، وأوضح مثال على ذلك العهد المكي في عصر الرسول صلى اللّه عليه وسلم وهذا العصر الحاضر.

٢- إن الجهاد القتالي مرحلة حتمية من مراحل الدعوة إلى اللّه، وهو الذي ينشرها ويوسع قطرها ويكثر اتباعها، ويعز شأنها، وسيرة الرسول صلى اللّه عليه وسلم في العهد المدني أكبر دليل على ذلك.

٣- إن الجهاد الإسلامي مراحل يسلم بعضها بعضاً، وآخرها قتال الكفار كافة حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، ويخضعوا لحكم الإسلام على خلافٍ بين العلماء فيمن تقبل منهم الجزية.

٤- إن اللّه ختم الدين الإسلامي وجعل الجهاد منه في الذروة كما تقدم في الحديث "ذروة سنام الإسلام".

٥- إن أي دعوة تدعو إلى ترك الجهاد أو الإضعاف من شأنه، إنما هي دعوى إلى هدم الإسلام، لأنه لا قيام للمسلمين بغير جهاد.

ثانياً: التوصيات:

١- العلم بالكتاب والسنة ومعرفة سيرة الرسول صلى اللّه عليه وسلم وتتبع غزواته تجعل المسلمين يتمسكون بدينهم وبضرورة جهاد أعداء الإسلام، فكلما تمسك الشباب بهذه المعاني استطاع أن يقف في وجه أعداء الإسلام.

٢- الشائعات التي يروجها أعداء الإسلام يقصد منها تشويه التاريخ الناصع للإسلام والمسلمين وتصويره على أنه دين بطش وقوة وإرهاب فعندما لا تجد هذه الافتراءات آذاناً صاغية من شباب المسلمين يفشل مخططهم.

٣- المعرفة التامة بكل ما يدور في أقوال وأفعال وأفكار أعداء الإسلام يجعل تفنيد افتراءاتهم ودحض شائعاتهم أمراً ممكناً بالنسبة لشباب المسلمين.

الهوامش والمراجع

١. فقه السيرة من بعد الهجرة إلى الوفاة، د. محمد سعيد رمضان البوطي: دار الفكر الحديث – لبنان / بيروت ١٩٦٧م ص ١.
٢. المرجع نفسه ص ٣.
٣. آثار الحرب في الفقه الإسلامي – دراسة مقارنة - د. وهبة الزحيلي: المكتبة الحديثة ص ٧٧.
٤. المؤسسة العسكرية ، محمد فرج: ص ١٢٠.
٥. المؤسسة العسكرية محمد فرج: مرجع سابق ص ١٢١.
٦. الإسلام والحرب ، محمد فرج: دار الفكر العربي القاهرة ص ٤٧.
٧. صحيح البخاري (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) بحاشية السندي للعلامة الموفق أبي عبداللّه محمد بن إسماعيل البخاري رضى اللّه عنه، دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت / لبنان، ج٢، ص ٣٥.
٨. فتح البارئ في شرح صحيح الإمام البخاري – ابن حجر العسقلاني: طبعة جديدة – دار السلام – الرياض، ج٦، ص ٥، كتاب الجهاد والسير.
٩. أخرجه أبوداوود ١٤٤٩ والنسائي ٥/ ٥٨ من حديث عبداللّه بن حبش ورجالٌ ثقات، وله شاهد عن أحمد ٤/ ١١٤ من حديث عمرو بن عبسه ورجالٌ ثقات، وآخر من حديث جابر في المسند ٣٩، وثالث من حديث عبداللّه بن عمرو بن العاص في المسند ٢/ ١٩١.
١٠. فتح البارئ في شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق،ج٦، ص٦.
١١. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: الكاساني (الإمام علاء الدين بن أبي بكر بن مسعود الكاساني النفي المتوفي ٥٨٧): كتاب السير والجهاد، ج٩، ص ٤٢٩.
١٢. أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية، أد. علي بن نقيع الغلياني، ص ٣ مطبعة دار طيبة، بيروت ١٩٨٥م.
١٣. مقدمات ابن رشد: محمد بن أحمد بن الوليد بن رشد، ج١، ص ٣٧١، المكتبة التجارية الكبرى - مصر.
١٤. فتح البارئ في شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، ص ٢١.
١٥. صحيح مسلم: أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري بشرح كتاب الجهاد والسير ج٣، ص ١٣٥٧ – دار إحياء التراث العربي / بيروت.

١٦. صحيح مسلم، المرجع السابق، ص ١٣٥٧.
١٧. تفسير القرطبي: القرطبي ج٨ ص ١٥١.
١٨. أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية ، علي نقيع العليان: ص ٣٨.
١٩. ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبوالفداء المتوفي ٧٧٤هـ - مختصر تفسير ابن كثير، ج٣، ص ٣١، دار الفكر بيروت ١٠٤١هـ (رواه النسائي والبيهقي).
٢٠. ابن كثير المرجع أعلاه ج٣، ص ٢١٠.
٢١. فقه السيرة: دكتور محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر للطباعة والنشر ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ١٦٦
٢٢. ابن كثير المرجع أعلاه نفس الصفحة.
٢٣. ابن كثير مرجع سابق ج٢، ص ٥٤٧.
٢٤. ابن تيمية، أحمد بن عبدالرحيم الحراني أبو العباس. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج١، ص ٧٣ مطبعة المدني المؤسسة السعودية مصر.
٢٥. أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية، علي نقيع العليان: مرجع سابق ص ٣٩.
٢٦. صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير مرجع سابق، ج٣، ص ١٣٥٧.
٢٧. صحيح البخاري: (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) مرجع سابق، ج٢، ص ١٣٥.